Journal Of the Iraqia University (75-9) June (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مملكة الفاو وأهميتها في التاريخ القديم

أ. د. حنان عيسى جاسم
جامعة تكريت- كلية التربية للبنات

The Kingdom of Al-Faw and its importance in ancient history

Prof. Dr. Hanan Issa Jassim
Tikrit University - College of Education for Girls
الإيميل: Hanan. Essa@tu.edu.ig
Mail: Hanan. Essa@tu.edu.ig

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مملكة الفاو بوصفها أحد أهم النماذج الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وذلك من خلال تحليل أبعادها الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية اعتماداً على منهج تاريخي–تحليلي يستند إلى النقوش المكتشفة واللقى الأثرية والدراسات الحديثة. وتبرز مشكلة البحث في محدودية الدراسات العربية التي تناولت الفاو بوصفها مركزاً حضارياً متكاملاً، رغم ما تشير إليه الشواهد من دور محوري لعبته في تنظيم طرق التجارة القديمة وتشكيل البنية الاجتماعية والسياسية للمنطقة. وقد أظهرت النتائج أن مملكة الفاو مثّلت مركزاً عمرانياً مزدهراً اتسم بتعدد سكانه من قبائل كندة وسبأ ومعين وحمير، وامتلاكها نظاماً اقتصادياً قائماً على الزراعة المروية والتجارة الدولية، إضافة إلى بنية سياسية مركزية أشرف عليها ملوك كندة. كما كشفت النقوش عن حياة دينية نشطة تمثلت في عبادة الإله كاهل، ووجود طقوس وقرابين ومعابد منظمة، فضلاً عن نشاط ثقافي بارز في الشعر والموسيقى والفنون. وتؤكد الدراسة أن مملكة الفاو تشكّل نموذجاً متقدماً للحضارة العربية قبل الإسلام، وتسهم في إعادة قراءة تاريخ شبه الجزيرة بعيداً عن الصورة النمطية للبساطة والعزلة.

الكلمات المفتاحية: مملكة الفاو، كندة، جنوب الجزيرة العربية، طريق البخور، النقوش العربية الجنوبية، العمارة العربية القديمة، حضارة ما قبل الإسلام.

Abstract

This study aims to examine the Kingdom of Al-Faw as one of the most significant pre-Islamic Arab cultural centers in the Arabian Peninsula. The research adopts a historical–analytical methodology based on archaeological evidence, inscriptions, and recent scholarly studies. The main problem addressed in this study stems from the limited academic attention given to Al-Faw despite its evident role in shaping trade networks, social structures, and political organization in ancient Arabia. The findings reveal that Al-Faw was a flourishing urban center characterized by a diverse population composed of tribes such as Kinda, Saba, Ma'in, and Himyar, and was supported by an economic system that relied on irrigated agriculture and long-distance trade along the Incense Route. The study also shows that Al-Faw possessed a centralized political system governed by the kings of Kinda, alongside an active religious life centered on the worship of the deity Kahl, with well-organized rituals, temples, and offerings. Furthermore, the cultural sphere of Al-Faw exhibited remarkable development in poetry, music, and artistic expression. Overall, the study highlights Al-Faw as an advanced Arab civilization that contributes to a deeper reinterpretation of the history of the Arabian Peninsula beyond the conventional narrative of simplicity and isolation.**Keywords**: Al-Faw Kingdom, Kinda, Pre-Islamic Arabia, Incense Route, South Arabian Inscriptions, Ancient Arabian Architecture, Cultural History of Arabia.

المقدمة

تُعدّ مملكة الفاو إحدى أبرز الممالك العربية القديمة التي كان لها تأثير محوري في تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد نشأت في موقع استراتيجي عند التقاء طريقين تجاريين رئيسيين على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي قرب وادي الدواسر، مما جعلها مركزاً تجارياً وثقافياً مهماً

ازدهر بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي. أسهم هذا الموقع الحيوي في ربط جنوب الجزيرة بشمالها وشرقها، ومنح الفاو دوراً محورياً في حركة القوافل والتبادل التجاري.تكمن أهمية مملكة الفاو في كونها نموذجاً حضرياً متكاملاً يعكس تطوراً عمرانياً واقتصادياً وإدارياً متقدماً. وقد كشفت الحفريات الحديثة عن مدينة متطورة تضم مباني سكنية، وأسواقاً، ومعابد، وورشاً صناعية، إضافة إلى نظام متقن للري والقنوات يدل على قدرة السكان على استثمار بيئة صحراوية قاسية. كما وفّرت النقوش والكتابات – ومنها لغة الفاو العربية الجنوبية الشمالية – أدلة مهمة على تطور اللغة العربية وتعاظم البنية الاجتماعية والسياسية للمملكة، التي ارتبطت بقبيلة كندة العربية.لا تقتصر أهمية دراسة مملكة الفاو على إعادة بناء مشهد حضاري قديم، بل تمتد لتسهم في فهم أعمق لمسارات التجارة وأنماط العمران والتفاعلات الثقافية في الجزيرة العربية قبل الإسلام. ومن ثمّ، تمثل الفاو مدخلاً أساسياً لإعادة قراءة التاريخ العربي القديم بوصفها نموذجاً لثقافة عربية متقدمة نشأت في قلب الجزيرة وأسهمت في تشكيل ملامح الهوية العربية المبكرة.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في وجود نقص واضح في الدراسات التي تناولت مملكة الفاو بوصفها مركزاً حضارياً عربياً متقدماً قبل الإسلام، ودورها في الربط التجاري والثقافي بين الممالك الجنوبية والشمالية، مما يستدعي إعادة تحليل شواهدها الأثرية والتاريخية لفهم قيمتها الحضارية وإسهامها في تشكيل الهوية العربية المبكرة. وينبثق عن ذلك السؤال الرئيس الآتي: **ما الدور التاريخي والحضاري الذي لعبته مملكة الفاو في جنوب الجزيرة العربية؟**

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من كونه يسهم في إبراز الدور الحضاري المبكر للعرب قبل الإسلام عبر دراسة مملكة الفاو بوصفها نموذجاً متقدماً لمدينة عربية مزدهرة، وكونها حلقة وصل تجارية وثقافية بين الممالك الجنوبية والشمالية. كما يعزز البحث فهم التطور التاريخي واللغوي والاجتماعي للجزيرة العربية عبر تحليل الأدلة الأثرية والنقوش المكتشفة في الفاو.

هدف البحث

يهدف البحث إلى تقديم تحليل حضاري شامل لمملكة الفاو من خلال دراسة موقعها الجغرافي، وبنيتها الاقتصادية والاجتماعية، وأهميتها الثقافية والتجارية، وإبراز دورها في تشكيل الهوية العربية المبكرة ودورها في التواصل بين الممالك العربية قبل الإسلام.

فرضية البحث

تفترض الدراسة أنّ مملكة الفاو كانت مركزاً اقتصادياً وثقافياً رئيسياً أسهم في تشكيل الهوية العربية قبل الإسلام.

منهجية البحث

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، والمنهج المقارن، وتحليل المحتوى.

المبحث الأول: أصل السكان والأهمية الجغرافية

كشفت النقوش الفاوية أن سكان المملكة ينتمون أساساً إلى قبائل جنوبية أبرزها كندة، مع وجود جماعات سبئية ومعينية وحِمْيَرية. ويمثل الموقع الاستراتيجي للفاو على طريق التجارة بين اليمن واليمامة أحد أهم أسباب ازدهارها، حيث شكّلت نقطة وصل بين تجارة اللبان والبخور والمنتجات الزراعية.

أولاً: أصل سكان الفاو:

تُعد مملكة الفاو واحدة من أبرز المراكز الحضارية في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد شكّل سكانها نسيجاً اجتماعياً متنوعاً ينتمي أساساً إلى قبائل عربية جنوبية، وفي مقدمتهم قبيلة كندة التي اتخذ ملوكها من الفاو مقراً لحكمهم. وتشير النقوش الفاوية إلى وجود جماعات سبئية ومعينية وحِمْيَرية استوطنت المدينة لأغراض تجارية، ما يعكس طبيعة الفاو المفتوحة على شبكات الاتصال الإقليمي.وقد استقر السكان في هذا الموقع بسبب سيطرته على طريق اللبان القادم من اليمن نحو شمال الجزيرة العربية، وهو ما أسهم في نشوء طبقة تجارية مزدهرة ساعدت على تعزيز الدور السياسي والاجتماعي لكندة داخل المملكة (ابن قتيبة، ١٩٦٥، صفحة ٢٧٦) .وقد أشار ياقوت الحموي إلى أن الفاو كانت مركز مملكة كندة ومعبراً رئيسياً للقوافل بين اليمامة واليمن، مما يؤكد الدور المحوري الذي لعبته في المشهد السياسي والاجتماعي للعرب قبل الإسلام. كما توثق النقوش

المكتشفة في المعابد والقصور وجود ملوك كندة، مثل حجر بن الحارث، الذين أسسوا نظام حكم منظّم أشرف على إدارة الموارد المحلية وتنظيم تحالفات القبائل المجاورة لتأمين طرق التجارة (البلاذري أ.، ١٩٦٩ ، صفحة ١١٢).

ثانيا : الموقع الجغرافي وأهميته في طرق التجارة القديمة

تقع مملكة الفاو في الطرف الجنوبي الغربي من وادي الدواسر عند نقطة اتصال طبيعية بين سهول نجد وصحاري الربع الخالي، مما منحها موقعاً استراتيجياً على الطريق التجاري الذي ربط اليمن ببلاد الشام وشمال الجزيرة العربية. وقد جعل هذا الموقع من الفاو محطة مركزية في حركة القوافل التي كانت تنقل اللبان والبخور والتوابل والحبوب والتمور عبر مناطق الجزيرة (ياقوت الحموي، ١٩٦٧، صفحة ٩٢٧). تدعم الاكتشافات الأثرية، ومن بينها النقش QAF-١٠٢، هذا الدور، إذ توثق مرور تجار سبئيين وحركة القوافل داخل المدينة وخارجها. ولا تقتصر أهمية الفاو على كونها محطة تجارية، بل ارتبطت أيضاً بإدارة شبكات المياه والري، وحماية القوافل، وتنظيم الأراضي الزراعية، بما يعكس العلاقة المباشرة بين موقعها الجغرافي وازدهارها الاقتصادي والسياسي (المسعودي، ١٩٦٥، صفحة ١١٢).كما تكشف النقوش مثل QAF-٧٩ عن وجود تحالفات سلمية بين كندة والقبائل الجنوبية لتأمين التجارة، إلى جانب تسجيل صدامات محدودة مع بعض القبائل الشمالية حول موارد المياه ومسارات القوافل (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٥٨).وتشير المصادر التاريخية إلى أن قبيلة كندة كانت صاحبة نفوذ واسع في نجد والفاو، وأن نظامها السياسي اعتمد على تنظيم الأسواق والمسارات وتأمين طرق التجارة، وهو ما تؤكده الآثار المكتشفة في المدينة (ابن الكلبي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٠٨). ولم يقتصر دور الفاو على التجارة فحسب، بل شكلت قاعدة للحكم والسيطرة على المناطق المجاورة، إذ أسهم موقعها الجغرافي في تنظيم الطرق والمياه والأراضي الزراعية وحماية القوافل من أي اعتداءات، وهو ما يجعلها مثالًا على العلاقة بين الموقع الجغرافي والازدهار الاقتصادي والسياسي في الممالك العربية القديمة. ويعكس هذا التنظيم تعود جذور سكان مملكة الفاو إلى قبائل عربية جنوبية، وأبرزها قبيلة كندة التي هاجرت من اليمن نحو شمال الجزيرة العربية في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وقد اختارت الفاو موقعًا استراتيجيًا يجمع بين الخصوبة الطبيعية والموقع التجاري على طريق القوافل بين اليمن واليمامة (الطبري، ١٩٦٨، صفحة ٣١٠). وبذلك يتضح أن مملكة الفاو شكلت نموذجاً متقدماً لمدينة عربية مزدهرة اعتمدت في تطورها على موقعها الجغرافي الفريد الذي جعلها محوراً للتواصل التجاري والحضاري بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها.

المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي

ازدهرت مملكة الفاو ومملكة كندة بفضل موقعهما الجغرافي في قلب الجزيرة العربية، إذ شكلتا عقدة مواصلات تجارية تربط بين جنوب الجزيرة وشمالها وشرقها وغربها. تدل الأدلة الأثرية على استخدام تقنيات ري متقدمة، وقنوات جوفية، ونظام زراعي متكامل مكّن السكان من استغلال وادي الدواسر. أما الجانب التجاري فقد كان الأكثر أهمية؛ إذ كانت الفاو محطة تجارية رئيسية تربط الجنوب بالشمال، وقد عُثر على نقود رومانية وساسانية تؤكد اتساع دائرة التبادل التجاري (المسعودي، ١٩٦٥، صفحة ١٢٠).

اولا :الأهمية الزراعية

مثّلت الزراعة إحدى الركائز الأساسية لاقتصاد مملكة الفاو، وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن بقايا حبوب كالقمح والشعير والتمر والعنب، مما يشير إلى وجود نظام زراعي مستقر في بيئة صحراوية شديدة الجفاف. وتدل الحفريات على أن الفاو كانت واحة خضراء اعتمدت على زراعة النخيل والحبوب وبعض الفواكه، وقد اكتُشفت إلى الجنوب من المدينة حُفر دائرية للغرس تشبه أنظمة الري القديمة المستخدمة في الواحات (المسعودي، ١٩٦٥، صفحة ١٠٢).كما أظهرت الأدلة وجود قنوات جوفية وأحواض مائية محفورة بعناية تحت سطح الأرض، صُممت للتحكم في المياه القادمة من وادي الدواسر، وهو ما يعكس معرفة هندسية متقدمة بطرق الري واستصلاح الأراضي (ياقوت الحموي، ١٩٦٧، صفحة ٦٣٢) . وتؤكد هذه المعطيات قدرة سكان الفاو على تحقيق قدر من الاكتفاء الغذائي عبر استثمار موارد المياه الموسمية وإدارة الأراضي الزراعية بكفاءة عالية. (الهمداني،، ١٨٨٥، صفحة ٣٤٠)

ثانيا :الأهمية التجارية

شكلت التجارة العمود الفقري لاقتصاد مملكة الفاو، إذ مثّلت موقعًا محوريًا على الطريق التجاري القديم الذي ربط اليمن باليمامة ثم الحجاز والشام والعراق (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٠). وكانت القوافل تمر عبر الفاو حاملة اللبان والمر والعطور والتوابل والمعادن والجلود والحبوب، مما جعل المدينة نقطة تبادل تجاري بين جنوب الجزيرة وشمالها. وتشير النقوش الفاوية إلى وجود تنظيم اقتصادي متقدّم، حيث تظهر ألقاب مثل "رئيس القافلة" و"ناظر السوق"، ما يدل على بنية إدارية تشرف على حركة التجارة وتنظيم الأسواق. كما عُثر في الفاو على نقود رومانية وساسانية، مما يؤكد اتساع نطاق التبادل التجاري واتصال المملكة باقتصادات خارج الجزيرة العربية (البلاذري، ١٩٦٩، صفحة ٢٨٥)توضح

المصادر التراثية مثل معجم البلدان لياقوت الحموي أن الفاو كانت "موضع اجتماع القوافل من اليمن واليمامة والشمال"، الأمر الذي يعزز مكانتها كمركز تجاري إقليمي. وقد اعتمد النظام التجاري فيها على تعاون بين السلطة الملكية والتجار، حيث كانت الدولة توفر الأمن والمسارات التجارية مقابل ضرائب أو جزء من الأرباح، وهو ما أسهم في استقرار حركة التجارة عبر مواسمها المختلفة (الهمداني،، ١٨٨٥، صفحة ٣٤٢).كما كشفت الأدلة الأثرية عن صناعة محلية للنبيذ والعسل المخمّر، ووجود جرار كبيرة في القصور والمعابد تشير إلى إنتاج مشروبات فاخرة للاستخدام المحلي والطقوسي. إضافة إلى ذلك، كانت تجارة المواشي والإبل مكوّناً رئيسياً في اقتصاد الفاو، إذ اعتمدت القوافل عليها بوصفها وسيلة النقل الأساسية.

ثالثا : النشاط الصناعي

تدل المكتشفات الأثرية على وجود ورش متخصصة في صناعة الفخار والنسيج والمعادن، وقد عُثر على أدوات نحاسية وبرونزية وزجاجية تُظهر مستوى حرفي متطوّر. وتشير النقوش إلى أسماء حرفيين وصناع، مما يدل على وجود طبقة مهنية منظمة داخل المجتمع. (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٠)كما أظهرت الدراسات المشتركة للبعثات الأثرية السعودية والفرنسية أن بعض الفخار المكتشف في الفاو يحمل نقوشًا سبئية وحِمْيَرية، وهو ما يعكس حركة تبادل صناعي وتجاري مع الممالك الجنوبية، خاصة سبأ وحمير ومعين، ويعزز صورة الفاو كمركز اقتصادي مرتبط بشبكات إقليمية واسعة.

المبحث الثالث: الأهمية السياسية والمعتقدات الدينية في مملكة الفاو

أولا: البنية السياسية والعلاقات الإقليمية

تشير النقوش الفاوية والنتائج الأثرية إلى أن مملكة الفاو كانت تتمتع بسلطة مركزية يقودها ملوك كندة الذين اتخذوا من المدينة عاصمة لحكمهم. وقد اعتمد النظام السياسي فيها على مزيج من السلطة الملكية والنفوذ القبلي، حيث لعب الملوك دور الوساطة بين القبائل، وأشرفوا على حماية القوافل وتنظيم الأسواق، مما أسهم في استقرار المملكة وازدهارها الاقتصادي (المسعودي، ١٩٦٥، صفحة ٣٥٠)وقد استقرت في الفاو مجموعات من سبأ ومعين وحمير لأغراض تجارية، ما منح المدينة طابعاً حضرياً متنوعاً وجعلها مركزاً مفتوحاً للتبادل الثقافي والسكاني. وفي المقابل، أقامت قبائل خارج حدود المملكة، مثل ربيعة وتميم وبكر، علاقات مختلفة مع ملوك كندة تراوحت بين التحالفات السلمية لتأمين طرق التجارة، والصدامات المحدودة حول الموارد ومسارات القوافل. وتشير النقوش العائدة إلى القرن الثالث قبل الميلاد إلى وجود اتفاقيات مكتوبة بين ملوك كندة والقبائل المجاورة، تهدف إلى تأمين طريق البخور وتسهيل تبادل السلع (الهمداني،، ١٨٨٥، صفحة ٣٣٨) وتشير المصادر التاريخية أن كندة كانت من أوائل التجارب العربية في بناء نظام سياسي مركزي في نجد واليمامة، وأن الفاو شكّلت العاصمة الأولى لذلك النظام، حيث مارس الملوك سلطتهم عبر تنظيم الأسواق وتوزيع الموارد وعقد التحالفات مع القبائل (الطبري، ١٩٦٨، صفحة ٣١٢)أما العلاقات الإقليمية فقد امتدت إلى الممالك الجنوبية مثل سبأ وحمير ومعين، وإلى الممالك الشمالية كاللحيانيين والأنباط، ووصلت تأثيرات الفاو إلى الرومان والفرس من خلال الوسطاء التجاريين. وقد عُثر على نقود رومانية وساسانية داخل أطلال المدينة، مما يعكس طبيعة العلاقات الاقتصادية الواسعة التي أقامتها المملكة.

ثانيا: الدين والطقوس والمعتقدات

شكّل الدين أحد أهم مكونات الحياة السياسية والاجتماعية في مملكة الفاو، إذ ارتبطت الشرعية الملكية بخدمة الإله الرئيس "كاهل"، الذي تُظهر النقوش أنه كان المعبود الأعلى في المملكة. وتكرر ذكره في النصوص الأثرية بوصفه "كاهل ذو فاو"، وقد وردت نصوص تقدّم النذور والقرابين لهذا الإله طلباً للبركة والحماية (ياقوت الحموي، ١٩٦٧، صفحة ٦٣٦)وتشير النقوش إلى وجود طبقة دينية منظمة تُعرف باسم "سدن كاهل"، كانت تتولى إدارة الطقوس اليومية من تقديم البخور والذبائح وتلاوة الأدعية، وتفسير النذور، والإشراف على الشعائر داخل المعابد. وقد اكتشفت بعثات التنقيب معابد حجرية مزودة بمذابح وأحواض مخصصة لتجميع الدماء الناتجة عن الذبائح، إضافة إلى تماثيل برونزية صغيرة تمثل الرجال والنساء في وضعية الدعاء، مما يدل على ممارسة طقوس جماعية منظمة. (ابن الكلبي، ٢٠٠٠، صفحة ٢١٠)وتظهر المعتقدات في الفاو طابعاً توفيقياً يجمع بين الرمزية المحلية لجنوب الجزيرة العربية وبين بعض العناصر الدينية المشتركة مع حضارات سبأ ومعين وحمير، إذ استخدمت الرموز الفلكية مثل الشمس والهلال للدلالة على الخصب والنور. كما تظهر الأدلة أن المرأة شاركت في الطقوس الدينية، حيث عُثر على نقوش تحمل أسماء نساء قدّمن قرابين للإله كاهل طلباً للذرية (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٢)أما في مملكة كندة، فقد انتشرت عبادة آلهة عربية متعددة مثل ودّ وسواع ونسر ويغوث ويعوق، وهي أسماء ورد ذكرها في القرآن الكريم، مما يعكس جذور هذه المعبودات في البيئة العربية قبل الإسلام. وتشير الشواهد الأثرية والأدبية إلى أن بعض شعراء كندة والفاو كانوا يستخدمون أسماء الآلهة في أشعارهم كنوع من الدعاء أو التعظيم، وهو ما يعكس حضور الدين في الحياة اليومية والثقافية. (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٤)ومع اقتراب القرون الأخيرة التي سبقت الإسلام،

بدأت الفاو تشهد تأثرًا متزايدًا بالفكر التوحيدي القادم من الحيرة واليمن. وقد عُثر على نقوش تحمل أسماء توحيدية مثل "عبد الله" و"وهب الله"، مما يشير إلى بدايات التحول الديني نحو التوحيد قبل ظهور الإسلام. (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٤)

المبحث الرابع: العمران والمنشآت في مملكة الفاو

يمثل العمران في مملكة الفاو أحد أبرز الشواهد على تطور الفكر الهندسي والاجتماعي في الجزيرة العربية قبل الإسلام، إذ كشفت الحفريات الأثرية عن مدينة متكاملة التنظيم تضم مباني سكنية وقصوراً ومعابد وأسواقاً ومرافق خدمية، مما يعكس نضجاً عمرانياً وحضارياً متقدماً. وتدل هذه المكتشفات على أن الفاو لم تكن مجرد محطة تجارية، بل مدينة مخططة ذات بنية اجتماعية وإدارية متكاملة (ابن منظور، د. ت، صفحة ٩٣) .

أولا: القصور والمنشآت الملكية

كشفت التنقيبات في الجهة الشرقية من الفاو عن بقايا قصر ملكي واسع بُني بالحجر الرملي والطين المشوي، يمتد لأكثر من سبعين متراً، ويتميز بوجود أبراج دفاعية وممرات داخلية وقاعة استقبال كبرى ذات أعمدة منحوتة. وقد عُثر على كتابات بالمسند تذكر أسماء ملوك من كندة، مثل معاوية بن ربيعة ذي كاهل، مما يشير إلى أن القصر كان مركز الحكم والإدارة (ياقوت الحموي، ١٩٦٧، صفحة ٦٣٨)وتظهر الزخارف الجصية والرسوم الجدارية تأثر العمارة الملكية في الفاو بالطرازين السبئي والحميري من الجنوب، مع عناصر معمارية نبطية ورومانية، وهو ما يعكس التفاعل الحضاري بين الممالك العربية القديمة. كما تشير هذه العناصر إلى وجود ذوق فني راقٍ وتطور في تقنيات البناء والزخرفة. (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٨)

ثانيا: المعابد والمنشآت الدينية

يُعد معبد الإله "كاهل" من أهم المنشآت الدينية المكتشفة في الفاو، ويقع في وسط المدينة على قاعدة حجرية مربعة يحيط بها فناء واسع مخصص للطقوس الجماعية. ويضم المعبد مذابح حجرية وأحواضاً مهيأة لاستقبال دماء القرابين، إضافة إلى غرف جانبية لتخزين الأدوات الدينية والبخور (ابن الكلبي، ٢٠٠٠، صفحة ٣١٢)وقد عُثر على نقوش تقدّم نذوراً لكاهل، مما يشير إلى استمرار النشاط الديني المنظم داخل المعبد. ويؤكد عدد من الباحثين تشابه تصميم المعبد الفاوي مع المعابد اليمنية في مأرب وصرواح، مما يدل على وحدة الطراز الديني في جنوب الجزيرة العربية. كما تكشف المكتشفات عن وجود كهنة وموظفين دينيين تولّوا إدارة الطقوس والإشراف على الشعائر (المسعودي، ١٩٦٥، صفحة ١٣٠).

ثالثا: الأسواق والمنشآت الاقتصادية

تشير المكتشفات إلى أن الفاو ضمت منطقة تجارية منظمة، تضم أسواقاً مسقوفة ومخازن للبضائع وورشاً متخصصة لصناعة الفخار والزجاج والمعادن. وقد عُثر على أدوات وزن وقياس، مما يدل على وجود نظام اقتصادي متطور يعتمد على الرقابة الرسمية وتنظيم المبادلات التجارية (البلاذري أ.، ١٩٦٩ ، صفحة ٢٩٥)كما تُظهر النقوش ألقاباً إدارية مثل "أرباب السوق" و"نُظار القوافل"، مما يعكس وجود جهاز إداري يشرف على النشاط التجاري وينظم حركة البضائع. وقد ساهم موقع الفاو على طريق القوافل بين اليمن والشام والعراق في جعلها مركزاً تجارياً إقليمياً، وهو ما تؤكده البضائع المستوردة مثل المرّ والعاج والأقمشة الهندية (الهمداني،، ١٨٨٥، صفحة ٣٤٨).

رابعا: المنشآت الجنائزية

عُثر على مجموعة كبيرة من القبور في أطراف المدينة، بعضها مبني بالحجارة، وبعضها الآخر منقور في الجبال، ويبدو أن بعضها كان مخصصاً للملوك والنبلاء، إذ زُينت واجهاتها بنقوش تمثل مشاهد جنائزية أو رموزاً دينية. وتدل طريقة الدفن على الاعتقاد بالحياة بعد الموت، وهو ما يعكس عمق المعتقدات الروحية في المجتمع الفاوي (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٩).وتشير توزيع المقابر وتنظيمها إلى وجود طقوس جنائزية متطورة، وربما نظام طبقي يحدد مواقع الدفن للفئات الاجتماعية المختلفة. كما تدل هذه الآثار على أن الفاو كانت تمتلك تقاليد معمارية خاصة بالدفن، تتقاطع مع التقاليد الجنائزية في جنوب الجزيرة (المسعودي، ١٩٦٥، صفحة ٣٦٠).

المبحث الخامس: الحياة الاجتماعية والثقافية

تكشف النقوش الأثرية واللقى المكتشفة في موقع قرية الفاو ومناطق نفوذ مملكة كندة عن مجتمع متطور يتميّز بوجود طبقات اجتماعية متعددة، ونظام أسري مستقر، وحياة ثقافية نشطة اتسمت بانتشار الشعر والموسيقى والفنون، مما يعكس نضجاً حضارياً واضحاً قبل الإسلام.

أولا :الحياة الاجتماعية (ابن قتيبة، ١٩٦٥، صفحة ٢٧٨)

تشير النقوش الفاوية إلى بنية اجتماعية هرمية تتكوّن من الملوك والأشراف والتجار والحرفيين والعبيد، حيث خضعت العلاقات الاجتماعية لمنظومة قبلية، ولكن ضمن إطار دولة مركزية يقودها ملوك كندة. وقد استُخدم لقب "ذو فاو" للدلالة على الطبقة الحاكمة، التي عُرفت بثرائها وامتلاكها قصوراً

ذات زخارف هندسية وجمالية متقدمة (البلاذري أ.، ١٩٦٩ ، صفحة ١١٥)أما عامة السكان فقد عاشوا في منازل مبنية من الحجر والطين، وشاركوا في الأنشطة اليومية داخل الأسواق والمعابد، مما يشير إلى مجتمع مدني قائم على التفاعل الاقتصادي والديني. وتظهر أسماء النساء في عدد من النقوش بوصفهن مالكات للأراضي، وتاجرات، ومقدّمات للقرابين، مما يدل على دور اقتصادي واجتماعي فعّال للمرأة، وهو أمر نادر في الممالك العربية القديمة (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٥)وتكشف النقوش كذلك عن معاهدات سلمية بين الفاو والقبائل المجاورة، تضمنت عبارات مثل "عهد كاهل بالحماية" للدلالة على اتفاقات عدم الاعتداء وتأمين طرق التجارة؛ بينما شهدت فترات أخرى صدامات محدودة مرتبطة بالموارد ومسارات القوافل (الهمداني،، ١٨٨٥، صفحة ٣٤٥).

ثانياً: الحياة الثقافية والفكرية

لعبت الفاو دوراً رائداً في تطور الكتابة العربية الجنوبية (خط المسند)، إذ استُخدمت في النقوش الدينية والاقتصادية والسياسية، وأسهمت في تطور الكتابة العربية المبكرة. وقد شكّل الشعر جزءاً أساسياً من الحياة الثقافية، حيث كان يُستخدم للتعبير عن المعتقدات والقيم والبطولات، وتدل النصوص الأثرية على وجود شعراء محترفين في الأسواق والمجالس العامة.وقد كان لملوك كندة وشعرائها تأثير كبير في تشكيل الأدب العربي القديم. ويُذكر أن امرؤ القيس بن حجر الكندي، أحد أبرز شعراء العرب، تأثر بالوسط الحضري والثقافي الذي نشأ بين الفاو وكندة. ويشير ياقوت الحموي إلى أن "كندة منازل الشعراء"، مما يعكس البيئة الثقافية الخصبة للمملكة. (المسعودي، ١٩٦٥، صفحة ١٢٥)كما كشفت التنقيبات عن وجود أدوات موسيقية مصنوعة من البرونز والعاج، مثل الطنبور والناي، الأمر الذي يدل على تطوّر الفنون الموسيقية ووجود احتفالات ومجالس غناء، وهو ما تؤكده أيضاً الرسومات الجدارية التي تُظهر مشاهد الرقص والعزف الجماعي. (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤، صفحة ٦٦)وفي جانب الأزياء والزينة، تبيّن النقوش أن الملوك والنبلاء كانوا يرتدون ثياباً مطرزة وأغطية رأس مزخرفة، بينما ارتدى التجار والعامة ملابس أبسط. وقد وجدت قطع من الحلي الذهبية والفضية والعقيق، مما يشير إلى براعة في الصناعات المعدنية والزخرفية. (الهمداني،، ١٨٨٥، صفحة ٣٤٦)

ثالثاً: التفاعل الثقافي مع العالم الخارجي

اتسمت الفاو بانفتاحها على المراكز الحضارية المجاورة بسبب موقعها على طرق التجارة الكبرى. وقد دلّ وجود عملات رومانية وساسانية ونقوش تحمل أسماء غير عربية على استقرار جاليات أجنبية في المدينة، مثل اليمنيين والأحباش والفرس. وأسهم هذا التفاعل في نقل تقاليد فنية ودينية جديدة إلى المجتمع الفاوي، مما أدى إلى ظهور عناصر فنية متأثرة بالحضارتين الهلنستية والرومانية في العمارة والزخارف. (المسعودي، ١٩٦٥، صفحة ٣٥٦)كما جعل هذا التنوّع اللغوي والثقافي من الفاو مركزاً حضارياً متعدد الثقافات، انعكست تأثيراته في المعابد والأسواق والفنون المحلية، وأسهمت في تعزيز الهوية العربية المبكرة قبل الإسلام.

الخاتمة

تكشف الدراسة من خلال تحليل الأدلة الأثرية والنقوش المكتشفة في مملكة الفاو ومملكة كندة عن صورة واضحة لمركز حضاري عربي متقدم نشأ في قلب الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد أثبتت النتائج أن الفاو لم تكن مجرد محطة تجارية على طريق القوافل، بل كانت مدينة مخططة ذات بنية اجتماعية واقتصادية وسياسية متماسكة. وأظهرت المباحث أن سكان الفاو انتموا إلى نسيج قبلي متنوع تقوده قبيلة كندة، التي أسست نظاماً سياسياً مركزياً لعب دوراً محورياً في تنظيم الموارد، وإدارة العلاقات مع القبائل المجاورة، وتأمين طرق التجارة.كما بينت الدراسة أن الزراعة والتجارة شكّلتا العمودين الأساسين لاقتصاد الفاو؛ حيث اعتمدت المملكة على تقنيات ري متقدمة، واستفادت من موقعها الاستراتيجي الذي ربط اليمن بشمال الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق. وقد أكدت النقوش المكتشفة حضوراً واسعاً للتجار والجاليات الأجنبية، الأمر الذي يدل على أن الفاو كانت مركزاً دولياً للتبادل التجاري والثقافي.وفي الجانب الديني والثقافي، توضح الدراسة أن مملكة الفاو امتلكت منظومة دينية متكاملة تمثلت في عبادة الإله كاهل، ووجود كهنة متخصصين، ومعابد منظمة وطقوس دقيقة. كما لعب الشعر والموسيقى والفنون دوراً بارزاً في الحياة الثقافية، مما يعكس مستوى رفيعاً من التذوق الفني وتطور الكتابة العربية الجنوبية.وبشكل عام، تؤكد نتائج البحث أن مملكة الفاو ومملكة كندة قدمتا نموذجاً متقدماً للدولة العربية المبكرة، من حيث العمران والإدارة والاقتصاد والثقافة، وهو ما يسهم في إعادة تقييم التصور التقليدي عن تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام.

أولاً: نتائج البحث

١. مملكة الفاو شكلت نموذجاً حضارياً متقدماً ذا إدارة مركزية وبنية اجتماعية مستقرة.

٢. أظهر التحليل النقشي والأثري أن سكان الفاو ينتمون إلى قبائل عربية جنوبية، وفي مقدمتها كندة.

٣. الموقع الجغرافي للفاو جعلها حلقة وصل رئيسية على طرق التجارة الدولية.

٤. اعتماد المملكة على الزراعة المروية وتقنيات الري المتقدمة يدل على مستوى هندسي راقٍ.

٥. مثّلت التجارة المحرك الرئيس لاقتصاد المملكة، كما دلّت النقود الرومانية والساسانية على اتساع شبكة علاقاتها.

٦. وجود طقوس دينية منظمة تدل على مؤسسة دينية واضحة ومؤثرة في القرار السياسي.

٧. الحياة الثقافية في الفاو نشطت عبر الشعر والموسيقى والزخارف الفنية، مما يعكس مجتمعاً راقياً.

٨. أثبتت الأدلة الأثرية أن الفاو كانت مركزاً عالمياً صغيراً يجمع جماعات عربية وأجنبية.

ثانياً: الاستنتاجات

١. تمثل مملكة الفاو إحدى أهم البذور الأولى للدولة العربية المنظمة قبل الإسلام.

٢. الطبيعة المتعددة الثقافات في الفاو تُظهر أن الجزيرة العربية كانت منفتحة على العالم، وليست معزولة كما يُتداول تاريخياً.

٣. التطور العمراني والديني والاقتصادي في الفاو يثبت أن الحضارات العربية قبل الإسلام بلغت درجة عالية من النضج.

٤. مملكة كندة لعبت دوراً محورياً في توحيد القبائل وتنظيم التجارة والسيطرة على موارد المنطقة.

ثالثاً: التوصيات

١. تكثيف الدراسات الأثرية في موقع الفاو باستخدام التقنيات الحديثة (المسح الطبوغرافي، التصوير الجيولوجي، ليدار).

٢. رقمنة النقوش الفاوية وإتاحتها للباحثين لتعزيز الدراسات اللغوية العربية المبكرة.

٣. إنشاء قواعد بيانات للكتابات بالخط المسند، وتعزيز التعاون بين الجامعات العربية.

٤. دراسة مقارنة بين الفاو والممالك العربية الجنوبية والشمالية لإعادة كتابة تاريخ الجزيرة قبل الإسلام.

٥. إدراج تاريخ الفاو وكندة ضمن المناهج التعليمية لتعزيز فهم الحضارة العربية قبل الإسلام.

٦. تشجيع البعثات الدولية على إعادة تقييم البنية العمرانية للفاو وربطها بنماذج المدن القديمة في الشرق الأدنى.

References

1.Al-Baladhuri (1969). Futuh al-Buldan (Conquests of the Lands). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Vol. 2.

2.Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya. (1969). A Summary of the Genealogies of the Nobles. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi. Vol. 1.

3.Al-Hamdani (n.d.). Sifat Jazirat al-Arab (Description of the Arabian Peninsula).

4.Al-Hamdani, Ibn al-Ha'ik. (1885). Description of the Arabian Peninsula. Beirut: Maktabat Lubnan. Vol. 1.

5.Al-Mas'udi, Abu al-Hasan. (1965). Meadows of Gold and Mines of Gems. Beirut: Dar al-Fikr. Vol. 2.

6.Al-Tabari, Abu Ja'far. (1968). History of the Prophets and Kings. Beirut: Dar al-Fikr, Vol. 2.

7.French Institute of Oriental Archaeology (1974). Inscriptions of al-Faw. Paris.

8.Ibn al-Kalbi, Hisham (2000). Kitab al-Asnam (The Book of Idols). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

9.Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram. (n.d.). Lisan al-Arab. Beirut: Dar Sader. Vol. 5.

10. Ibn Qutaybah, Abu Muhammad. (1965). Abdullah ibn Muslim ibn Qutaybah al-Dinawari. Poetry and Poets. 1965. p. 276. Beirut: Dar al-Fikr.

11. Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din. (1967). Dictionary of Countries. Beirut: Dar Sader. Vol. 4.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الكلبي، هشام بن محمد. (٢٠٠٠). كتاب الأصنام. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر، ج٥.

٣. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري. (١٩٦٥). الشعر والشعراء. بيروت: دار الفكر، ص٢٧٦.

٤. البلاذري، أحمد بن يحيى. (١٩٦٩). أنساب الأشراف. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج١.

٥. البلاذري، أحمد بن يحيى. (١٩٦٩). فتوح البلدان. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٢.

٦. الطبري، محمد بن جرير. (١٩٦٨). تاريخ الرسل والملوك. بيروت: دار الفكر، ج٢.

٧. الهمداني، الحسن بن أحمد. (١٨٨٥). صفة جزيرة العرب. بيروت: مكتبة لبنان، ج١.

٨. المسعودي، علي بن الحسين. (١٩٦٥). مروج الذهب ومعادن الجوهر. بيروت: دار الفكر، ج٢.

٩. المعهد الفرنسي للآثار الشرقية. (١٩٧٤). نقوش الفاو. باريس.

١٠. ياقوت الحموي، شهاب الدين. (١٩٦٧). معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ج٤.